

البخل وآثاره

الحمد لله الملك الجليل ، الهادي إلى سواء السبيل ، أرسل رسوله بالحق ، وأنزل معه الكتاب هدى للناس وبينات من الهدى والتنزيل . نحمده سبحانه وتعالى ونشكره، ونتوب إليه ونستغفره، أمر بمكارم الأخلاق ، ونهى عن الجبن والبخل والنفاق. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا شبيهه ولا نظير ولا مثل، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الموصوف بالعصمة، والمبعوث بالهدى والحكمة ، أشرف الناس نفسا وأعلاهم همة ، يحمل الكل ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق بما لديه من كثير أو قليل . صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه القاصدين وجه الله إمساكا وإنفاقا، والتابعين لهم بإحسان من كل أمة وجيل .

أما بعد : فأوصيكم . أيها الناس . ونفسي بتقوى الله عز وجل ، فاتَّقوا الله رحمكم الله، ولا يغرنكم سهل الدنيا، فبعد السهل

حُزُون، والفرحُ فيها محزُون، والحُزْن فيها غير مأمون، ما
ضحكت فيها نفوس إلا وبكّت عيون، هي داء المَنون، من ركن
إليها فهو المغبون، لم يهتمَّ بالخلاص إلا أهلُ التقى والإخلاص،
أيامهم بالصلاح زاهرة، وأعيُنهم في الدُّجى ساهرة، في نفوس
طاهرة، وقلوبٍ بخشية الله عامرة، يعملون للدنيا والآخرة.

أيها المسلمون: الإسلام دين يقوم على البذل والإنفاق ، ويضيق
على الشح والإمساك ، حُب إلى بنيه أن تكون نفوسهم
سخية، وأكفهم ندية ، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان
ووجوه البر . وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم ،
لا ينفكون عنه في صباح أو مساء“ : الذين ينفقون أموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون”

غير أن الإنسان - يا عباد الله - مجبول على حب المال
والحرص على اقتنائه ، يضرب في مناكب الأرض وللأثرة في
نفسه إيحاء شديد، أكثر تفكيره في نفسه وأقله في الآخرين .

ولو أنه أوتى ما فى الأرض جميعا ، بل لو أنه امتلك خزائن
الرحمة العليا لما طوعت له نفسه أن تنفق منها بسعة ، ولقامت
له من طبيعته الضيقة علل شتى تضع فى يديه الأغلال“ :قل لو
أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنم خشية الإنفاق و
كان الإنسان قتورا”

أيها الأحبة فى الله، البخل نزعة خسيصة يجب أن تخاصم
بعنف، وأن تقاوم دسائسها بيقظة ونشاط، إنه داء فتاك يزرع
الحقد والغل فى الصدور، وينبت السوء والبغضاء فى القلوب،
تقطعت به الأواصر، وانصرمت بسببه الوشائج، وقام على أساسه
سوق الحسد والبغض ، كم فرق بين الأحباب ، وكم أغلق من
بيوتات ودمر مجتمعات ، إنه من أدوء الأدواء وأخبثها ، إذا
استشرى فى قوم أهلكتهم، وإذا استفحل فى أناس محق بركتهم.

البخيل يعباد الله، لا يثق فى مولاه، فهو دائماً سىء الظن
بخالقه، يحسب أنه لن يرزقه، ولن يكرمه، وأن هذا الذى بين
يديه من الخير والمال وا لنعمة لو انقضى فلن يأتي بعده خيرٌ،

ولن يخلف الله عليه بسواه، يظن هذا المخذول أنه لو تصدق من أمواله صار فقيراً معوزاً كالمصدق عليهم، وما أيقن هذا وأمثاله أن المال لا تنقصه الصدقة بل تنميه وتبارك فيه . يقول عليه الصلاة والسلام " السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل"

إن الأموال المستخفية في الخزائن ، المختبئ فيها حق المسكين والبائس ، شر جسيم على صاحبها في الدنيا والآخرة ، إنها أشبه بالثعابين الكامنة في جحورها، كأنها رصيد الأذى للناس ، بل لقد بين عليه الصلاة والسلام أنها تتحول فعلاً إلى حيات تطارد صاحبها لتقضم يده التي غلها الشح “ . يقول عليه الصلاة والسلام . . . ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاتحاً فاه ، فإذا فر منه يناديه ، خذ كنزك الذي خبأت ، فأنا عنه غني فإذا رأى أنه لا بد له منه سلك يده في فمه ، فيقضمها قضم الفحل “ .

إن شرائع الإسلام لم تألو جهداً في إفهام الإنسان بالحسنى والإقناع، أن محبته الشديدة لماله قد تورده المتالف، وأنه لو فكر حقيقة ما يملك وفي عاقبته معه، لرأى السماحة أفضل من الأثرة، والعطاء خيراً من البخل. وفي الحديث: "يقول العبد: مالي مالي: وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقتنى. وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس." وعجيب يا عباد الله أن يشقى امرؤ في جمع ما يتركه لغيره، وإذا لم يستفد المسلم من ماله فيما يصلح معاشه ويحفظ معاده فمم يستفيد بعد؟. وقد أماط الرسول صلى الله عليه وسلم اللثام عن هذه الحقيقة فقال: "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه." قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر"

معاشر الأجرة: إن نجاح الإنسان في إزاحة عوائق البخل التي تعترض مشاعر الخير فيه هو في نظر الإسلام فضيلة كاملة، إذ المعروف أن المرء يشتد أمله في الحياة، وتتوثق أواصره بها

عندما يكون صحيح البدن ، طامحا في المستقبل ، يقتصد في نفقته ويضاعف في ثروته ، ليطمئن إلى غد أرغد له ولذريته ، فإذا غالب هذه العوامل كلها، وبسط كفه في ماله ، ينفق عن سعة ولا يخشى إقلاقا ولا ضياعا ، فهو بذلك يفعل الخير العظيم . جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أى الصدقة أعظم أجرا ؟ قال : " أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا".

معاشر الأحبة : إن البذل الواسع عن إخلاص ورحمة يغسل الذنوب ويمسح الخطايا فإذا انزلق المسلم إلى ذنب وشعر بأنه باعد بينه وبين ربه ، فإن الطهور الذى يعيد إليه نقاءه ويرد إليه ضيائه ويلفه في ستار الغفران والرضا ، أن يجنح إلى مال عزيز عليه فينخلع عنه للفقراء والمساكين ، زلفى يتقرب بها إلى أرحم الراحمين . عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "تعبد عابد من بنى إسرائيل فعبد الله فى صومعة ستين عاما

، فأمطرت الأرض فاحضرت ، فأشرف الراهب من صومعته ،
فقال : لو نزلت فذكرت الله فازددت خيرا!!

فنزل ومعه رغيف أو رغيفان ، فبينما هو فى الأرض لقيته امرأة
فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها ثم أغمى عليه . فنزل
الغدِير يستحم ، فجاءه سائل ، فأوماً إليه أن يأخذ الرغيفين ، ثم
مات .. فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية
بحسناته ، ثم وضع الرغيف أو الرغيفان مع حسناته ، فرجحت
حسناته ، فغفر له"

ويروى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه هذا الحديث: "يا
ابن آدم أفرغ من كنزك وعندى لا حرق ، ولا غرق ولا سرق ،
أوفيكه أحوج ما تكون إليه" .

وقد يسبق الظن إلى أن السخاء ينقص الثروة ويقرب من الفقر ،
ويسلب الرجل نعمة الطمأنينة فى ظل ماله الممدود ، وخيره
المشهود ، وهذا الظن من وساوس الشيطان التى يلقيها فى
نفوس القاترين الأدياء . والحق أن الكرم طريق السعة ، وأن
السخاء سبب النماء ، وأن الذى يجعل يديه ممرا لعطاء الله يظل

ميسوط اليد بالنعمة ، مكفول اليوم والغد بالغدق الدائم من
رحمة الله وكرمه.

وفي الحديث عن الله تبارك وتعالى: "يا عبدى أنفق أنفق عليك ،
يد الله مالمى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرايتم ما أنفق
منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغيض ما بيده، وكان عرشه
على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع . "

إن المنفقين على السراء والضراء هم بعين الله ، وفي كنفه ،
تصلى عليهم الملائكة ويرتقب لهم المزيد ، أما الكانزون فلا
يتوقع لهم إلا الضياع . وهل يخلدون مع المال أو يخلد معهم
المال؟ إن المال عارية انتقل إلينا من غيرنا ، وسينتقل منا إلى
غيرنا ، فلم التشبث به والتفانى فيه؟ إن كل ما يتعلق البشر به
من حطام الدنيا سوف يدعونه لوارث السموات والأرض ،
وسينقلون إلى ربهم حفاة عراة ، لا مال ولا جاه كما خُلِقوا أول
مرة ، وسيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة . فلا غروحيئذ إذا نقم
المال الأعلى على من ينسى هذه الحقائق ، وينطلق فى ربوع
الأرض ، لا هم له إلا جمع ما يضره ، ونسيان ما يفيد . قال

رسول الله " : ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ،
فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم
أعط ممسكا تلفا. "

أيها الأحبة الكرام: قد يحرص المرء على المال لأنه يريد ترك
أولاده في ثراء، يحميهم تقلب الأيام وأحداث الليالي وهذا قصد
حسن ، والمسلم مكلف أن يصون ذريته ، وأن يمنع عنهم العيلة
، وأن يراهم بمأمن من الحاجة إلى الناس، غير أن البخل
بالحقوق وكنزها للأولاد لا يمحو فقرا ولا يضمن غنى ولا يُقبل
من صاحبه يوم القيامة عذر . روى عن عبد الله بن مسعود أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "شر الخلق عند الله عبدين
ممن أكثر لهما من المال والولد . فقال لأحدهما : أى فلان بن
فلان . قال : لبيك رب وسعديك . قال : ألم أكثر لك من
المال والولد ؟ قال : بلى أى رب . قال : وكيف صنعت فيما
آتيتك ؟ قال : تركته لولدى مخافة العيلة !! قال : أما إنك لو
تعلم العلم لضحكت قليلا ولبكيت كثيرا . أما إن الذى تخوفت
عليهم قد أنزلت بهم . ويقول للآخر : أى فلان بن فلان ،

فيقول : لبيك أى رب وسعديك . قال له : ألم أكثر لك من المال والولد ؟ قال : بلى أى رب : قال : فكيف صنعت فيما آتيتك ؟ قال : أنفقت فى طاعتك ، ووثقت لولدى من بعدى بحسن طولك ! قال : أما إنك لو تعلم العلم لضحكت كثيرا وليكيت قليلا . أما إن الذى وثقت به قد أنزلت بهم " أو كما قل عليه الصلاة والسلام.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واستمسكوا بعُرَا السَّمَاحَةِ، واجتنبوا البخل والتقتير، وسارعوا إلى الجود والكرم، واعلموا أن من بذل اليوم القليل جناه غداً أو بعد غد كثيراً..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

" يا أيها الذين ءامنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم، إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم، فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"

بارك الله لي ولكم ...

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد
أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً
عبده ورسوله، الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله وسلم وبارك
عليه، وعلى آله وصحابه وإخوانه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان
إلى يوم الدين.

أما بعد : فاتقوا الله عباد الله، وتأملوا فيما رواه عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما حين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
خلق الله الجنة عدن بيده ، ودلى فيها ثمارها ، وشق فيها أنهارها ، ثم
نظر إليها فقال لها : تكلمي فقالت : { **قد أفلح المؤمنون** } ، فقال الله
عز وجل : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل.

أرأيتم يا عباد الله، كيف يمنع البخل صاحبه من دخول الجنة
عرضها السموات والأرض؟ أرأيتم كيف يحرم البخل صاحبه من
مجاورة الكريم المنان؟ إنه داء خطير، وشر مستطير، ذمه الله

تعالى ونهى عنه، وتوعد عليه وجعله طريقاً للشقاء والعسر في الدنيا، وسوء المنقلب والمصير في الآخرة فقال تعالى " وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسه للعسرى، وما يغني عنه ماله إذا تردى " " ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير (

معاشر المؤمنين:

الإسلام يوصى بأن يكرم المرء نفسه ثم أهل بيته ثم ذوى رحمة ثم سائر الناس .ومعنى كرم المرء مع نفسه أن يشبع نهمتها من الحلال فيصدها عن الحرام ، وأن يصونها عن مظاهر الفاقة التي تخدش مكانتها فى المجتمع ، وتهبط بها دون المستوى الواجب لعزة المسلم ، وذلك كله فى نطاق القصد الذى لا إسراف فيه ولا شطط ، وللمسلم أن يمسك لديه من المال ما يبلغه هذه الأهداف المشروعة. " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً"

وعلى رب البيت أن يتعرف المطالب المعقولة لأهله وولده ، وأن
ينفق عن سعة في قضائها ، فليس من الدين أن يدع المرء زوجته
أو بنيه وبناته في حال قلقه من الاحتياج والضيق ، ثم يضع ماله
في مصرف آخر مهما كان خطره ، فروابط الأسرة أولى بالعناية
وأحق بالتوثيق من غيرها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
“ :دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقة ، ودينار
تصدقت به على أهلك ، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك”
إن في هذا الإرشاد زجرا لطائفة من الناس يجنحون إلى السرف
خارج بيوتهم وبين أصدقائهم أو الغرباء عنهم، فإذا خلوا إلى
أهلهم كانوا أمثلة سيئة للتقتير والكسف! وفي الحديث: “ يا أمة
محمد والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة
محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم ، والذي نفسى بيده لا
ينظر الله إليه يوم القيامة”

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن
يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا
يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)

ألا فاتقوا الله رحمكم الله، وتعوذوا بالله من الجبن والبخل،
وضلع الدين وقهر الرجال.
هذا وصلوا وسلموا...

الموقع الرسمي للشيخ القارئ نبيل الرفاعي
<http://www.nrefaei.com>